السجاد الإسلامي

الفنون العربية الاسلامية

المرحلة الثالثة إسلامي

م.م علي احسان عبد علي

السجـاد
Carpets

تمهيد

عرف الإنسان وضع فراش تحت أقدامه بسبب البرودة منذ أقدم الأزمنة، وخاصة الرعاة المتنقلون بحثاً عن الكلأ حيث وضع هؤلاء الرعاة جلود حيواناتهم تحتهم خاصة في فصل الشتاء البارد، وذلك لتوفير الدفء لهم. وهذا يعني ذبح الكثير من ماشيتهم وأغنامهم لتوفير الجلود المطلوبة، عندها فكروا بالاستفادة من الأصواف والوبر والشعر من على حيواناتهم دون التضحية بها، وعندها عرفوا كيف يحلقون حيواناتهم كلما طالت أصوافها أو وبرها أو شعرها، وتعلموا كذلك كيف يخلصون تلك الأصواف مما يعلق بها لتصبح صالحة للاستعمال، فيغسل بالماء ويضرب بين حجرين لإزالة المواد الذهنية، ويجفف بالشمس والهواء، ويمشط ويغزل باليد أو بالعجلة ليتحول إلى خيوط للاستفادة منها.

تعلم الإنسان صياغة السجاد بالنول اليدوي – والذي لا زال يستعمل حتى يومنا هذا لعمل السجادة اليدوية – ويتكون النول من عارضتين من الخشب متوازيتان ومثبتتان بين قطعتين من الخشب، وتمتد بين هاتين العارضتين مجموعة من الخيوط المثبتة تعرف بخيوط السدى (Weet) وتحت العارضة العليا توجد أسطوانة من الخشب تربط بها الأطراف العلوية لهذه الخيوط، وتحت العارضة السفلى أسطوانة أخرى من الخشب كذلك تلف حولها الأطراف السفلية لتلك الخيوط.

ويحدد طول كل من العارضتين عرض السجادة، أما طولها فأمره متروك لرغبة النساج، فيستطيع التحكم في أن يزيد الطول حسب المطلوب.

إن أقدم سجادة معروفة اليوم تعود إلى ما يقرب من ٥٠٠ قبل الميلاد في منطقة جبال الطاي (أو التاي) أحدى جمهوريات الإتحاد السوفيتي السابق، ونموذج أخر اكتشف جنوب سيبريا وغرب الصين.

ويبدو أن قدماء العراقيين من البابليين والأشوريين قد عرفوا صناعة السجاجيد، وقد استخدموها ملوكهم في قصورهم الكبيرة وخاصة الأشوريين حيث أن أماكنهم وإقامتهم كانوا في شمال العراق حيث تتميز المنطقة بالبرودة، وقد أشارت بعض النصوص المسمارية إلى ذلك – (الدكتور وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية ص٣٢٠) وقد عثر على نموذج منحوت من الرخام الموصلي في أحد بوابات مدينة خرسباد، أحدى عواصم الدولة الأشورية – ومحفوظة اليوم في متحف اللوفر بباريس، شكل شجادة أشورية محفورة على الرخام بكافة عناصر السجادة من الرسوم أشكال هندسية ولها حاشية مشابه لحاشية السجادة، وقد أشار المؤرخ بليني بجودة السجاجيد البابلية سواء في حسن حبكها أو في جودة ألوانها.

وقد كشفت تنقيبات البعثة اليابانية في كهوف الطار قرب كربلاء بالعراق على كمية كبيرة من المنسوجات يصل عددها إلى ١٥٠٠ قطعة بينها أجزاء من بسط سميكة وسجاجيد يغلب عليها الونين الأحمر والأصفر، وحملت زخارف بعضها وجوه أدامية وبعد فحص تلك القطع بالأساليب الحديثة للفحص، وجد أنها تعود ما بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد)

ويعتقد بأن شهرة بابل في إنتاج أجود أنواع السجاد، وخلال الغزو الأخميني لبابل نقلوا عدداً من مهرة الصناع للسجاد إلى سوسة ليعملوا في إنتاج السجاد أيام دار يوس الأول ٥٢١ – ٤٨٦ قبل الميلاد، وكذلك في عهد الملك احشوريش، ولا يستبعد أن صناعة السجاد في إيران قامت أول الأمر بأيدي هؤلاء النساج العراقيين.
(د. وليد الجادر: السجاجيد الأشورية، مجلة المثقف العربي، العدد ٢٤ بغداد ١٩٨٧ ص١٢٧)

صناعة السجاد الإسلامي

يبدأ نسج السجادة، بعد أن تعقد حول خيوط السدى خصل الصوف، وإذا ما انتهى النساج من عمل العقد حول جميع خيوط السدى التي أمامه في اتجاه أفقي، ثبت هذه العقد في مكانها بواسطة الضرب عليها ثم الشد فوقها بخيط أو أكثر يمر بها فوق العقد فتجري أفقية وتسير محاذية لعارضتي النول، وتسمى هذه الخيوط الأفقية بـ(اللحمة) - Raft - وهكذا تتكون خيوط السجادة من خيوط السدى الطولية، وخيوط اللحمة الأفقية وهذه جميعاً تكون رقعة السجادة، ثم من خصل الصوف التي تعقد حول خيوط السدى وهذه تكون الخمل للسجادة (pile carpets) .

وقد قسم المختصون في دراسة السجاد الإسلامي إلى ثلاثة أنواع:

١- **النوع الأول:** عقد تلف فيها خصلة الصوف حول خيطين متجاورين من خيوط السدى، بحيث تجمع بينهما من أعلى ثم يدور طرفاها وراء هذين الخيطين ثم يجتمعان فينفذان بينهما صاعدين معاً متلامسين إلى وجه السجادة، وقد شاع هذا النوع في السجاجيد التركية.

٢- **النوع الثاني:** عقدة تلف الخصلة فيها حول خيط واحد من خيوط السدى وتحتضن الخيط المجاور له، وفي هذا الالتفاف والاحتضان ينتهي طرفاها إلى وجه السجادة، وقد شاع هذا النوع في السجاجيد الإيرانية.

٣- **النوع الثالث :** من السجاجيد، شاع هذا النوع في الأندلس ويتمثل بعقدة ثالثة تلتف فيها الخصلة حول خيط واحد من خيوط السدى، ثم يخرج طرفاها إلى وجه السجادة بعد أن يمر أحدهما فوق الأخر.

تسميات السجاجيد عند العرب

وقد سميت السجاجيد عند العرب بعدة تسميات منها الطنافس والقطيف أو القطيفة، والقطيف عرف بأنه بساط له خمل، وأن لفظة القطيف معروفة قبيل الإسلام، وكذلك في صدر الإسلام، وكانت للرسول الكريم محمد (ﷺ) قطيفة لها علم، كما

وضعت قطيفة حمراء حين دفن الرسول الكريم (ﷺ) ابن حنبل: المسند ج١ص ٢٨٨ – كما أن لفظة قطيفة جاءت على أنها نوع من اللباس، وعندما فتح المسلمون المدائن (عاصمة الدولة الساسانية بالعراق قبل الإسلام) كانت في إيوان كسرى بالمدائن سجادة قياسها ستين ذراعاً في ستين (الطبري، تاريخ، ج٤ ص٢٢) أي أن مساحتها تقرب من تسعمائة متر مربع.

وفي القرآن الكريم وردت لفظة (زرابي) وتعنى السجادة التي لها خمل، ونفس الاسم لا زال مستخدماً في المغرب العربي .

وقد ورد في سورة الغاشية، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ (الغاشية ١٣-١٦) صدق الله العظيم وفسرت أن زرابي بأنها البسط ذات الخمل (تفسير الجلالين) وفي العراق تعرف السجاجيد بـ (الزوالي) ومفردها زولية، وقد ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م إشارة إلى تسمية زولية ومنها (فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من الزوالي) – ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص١٢٠ –

وفيي المعاجم اللغوية ذكرت في لسان العرب لابن منظور أن الاسم (طنفسه) في حين ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان باسم (قطيفة).

الزخارف على السجاجيد الإسلامية

وقد حملت السجاجيد الإسلامية أنواعاً من الزخارف ويمكن تقسيمها حسب زخارفها إلى الأنواع التالية:

١- سجاجيد ذات الصرة:

وقد شاع هذا النوع من السجاد في شمال إيران وتبريز وقاشان، وقد تميزت تلك السجاجيد بأنها تحتوي على صرة في الوسط، ويتدلى من أعلاها زخرفة تشبه

المشكاة، كما تزين الأركان الأربعة من هذه السجادة ربع هذه الدائرة الوسطية، كما تزين حواشي السجادة بأشرطة زخرفية.

٢- سجاجيد ذات رسوم حيوانية

وقد اشتهرت بصناعة هذا النوع من السجاجيد مناطق شمال إيران أيضاً، وقد حمل بعضها إضافة إلى الرسوم الحيوانية رسوم أدامية وزخارف نباتية وأشجار عالية، وحمل بعضها رسوم فرسان ومشاهد صيد.

٣- سجاجيد حملت رسوم الزهور

اشتهرت مدينة هرات بصناعة هذا النوع من السجاد حيث توزعت رسوم الزهور يتناسق تحيط بها إطارات تشمل على زخارف نباتية مختلفة، ويغلب اللون الأحمر عليها، ولها أطر باللون الأخضر، وتغطي زخارف التوريق (الارابسك) مساحة السجادة.

٤- السجاجيد ذات الزهريات:

اشتهرت بهذا النوع من السجاد مناطق وسط إيران حيث غلب على زخارفها زهريات مختلفة الأنواع بعضها دائرية والبعض الأخر مستطيلة.

٥- سجاجيد الصلاة

سميت سجادة نسبة إلى السجود وتميز هذا النوع من السجاجيد يحملها زخارف على هيئة محراب تزينه الزخارف الكتابية، وهي صغيرة الحجم عملت لأغراض الصلاة عليها.

وقد تميزت الدول بإنتاج السجاد ومنها:

أ. السجاد التركي:

اشتهرت تركيا بصناعة السجاد وتصديره إلى بقية الأقطار المختلفة، وقد ساعدت الظروف تركيا بإنتاج أجود أنواع السجاد للأسباب التالية:

١. وجود المراعي لتربية الأغنام ذات الأصول الجيدة والمشهورة بصوفها الجيد.

٢. توفر المياه الخالية من الأملاح والتي تساعد في تثبيت الأصباغ والألوان.

٣. منافسة السجاد التركي للسجاد الإيراني، مما دفعهم بتجويد صناعتهم وقد أشار العديد من الرحالة الأجانب والعرب ومنهم مارك بولو خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى جودة صناعة السجاد في تركيا ومنها السجاد السلجوقي الجميل، كما أشار الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي إلى وجود صناعة السجاد الجيد في تركيا.

وقد اشتهرت مدينة قونية بصناعة السجاد في تركيا.

مميزات السجاد التركي:

١. وجود مساحة أو أرضية متوسطة للسجادة فيها رسم رئيسي.

٢. وجود إطار قوامة مجموعة أشرطة تختلف في العرض حسب نوع السجادة.

٣. يتميز السجاد التركي بالنسيج الغليظ بعض الشيء

٤. يتميز السجاد التركي بالتنسيق بين الألوان وخاصة الأحمر والأزرق والأصفر، وكان الصانع التركي ينسق بين هذه الألوان بكل مهارة وذوق.

٥. ندرة الرسوم الآدمية على السجاد التركي المبكر، ولكن منذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، فقد دخلت رسوم الكائنات الحية ومنها الحيوانات والطيور، وقد صدرت تركيا الكثير من سجادها إلى هولندة حيث وجده في الكثير من الرسومات الهولندية نماذج من السجاد التركي، كذلك اقتنت بعض الكنائس والقصور من السجاد التركي، وكذلك ايطاليا أيضاً.

أهم مراكز صناعة السجاد التركي:

١. المناطق المحاذية لشواطئ البحر المتوسط ومنها مناطق (النجاد، عشاق، قولة، كوردس) وجميع هذه المناطق تقع غرب تركيا.

٢. أزمير اشتهرت هذه المدينة بإنتاج أنواع جيدة من السجاد التركي، حيث أصبحت أزمير منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي مركزاً مهماً لتصدير السجاد ومن الأنواع الأخرى من السجاد في تركيا نوع يعرف بسجاد ذات الطيور وتتميز بالزخارف الهندسية على أرضية بيضاء، وعليها رسوم زهور وأوراد، إضافة إلى زخارف الرقش العربي (الارابسك) إضافة إلى رسوم طيور ذي رأسين باتجاهين مختلفين.

ومن سجاد تركيا نوع يعرف بسجاد دمشق، لأن زخارفها تشبه قاشاني دمشق، وربما أنتجتها مصانع دمشق التي أسسها السلطان سليمان القانوني خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

ب. السجاد المصري:

اشتهرت مصر بصناعة السجاد والذي يتميز بما يلي:

١. تكون أرضيته حمراء إضافة إلى اللون الأخضر البراق واللون الأزرق في بعض أجزائها.

٢. سجاجيد مصر معمولة بصوف مميز له لمعة خاصة وأنه معقود على سدى من الحرير.

٣. زخارف السجاد المصري يغلب عليها الرسوم الهندسية.

٤. رسوم الأزهار والأشجار محورة عن الطبيعة.

٥. الألوان واحدة في الوسط والإطار.

٦. خلو السجاجيد المصرية من الرسوم الأدمية والحيوانية.

وقد صدرت مصر إنتاجها من السجاد إلى أوربا بعد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.